

جماليات الاستهلال في القول الشعري القديم والمحاكمات النقدية الكلاسيكية حولها
Aesthetics of Prelude in Old Poetry and Its Classical Criticism Debate

د. معروف الحبيب*

المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة (الجزائر)، habib.marouf@cuniv-naama.dz
مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري في ضوء التّقد المعاصر ولايتا البيّض والنعامة
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة (الجزائر)

تاريخ الارسال 2023/05/01 تاريخ القبول 2023/10/01 تاريخ النشر 2023/12/31

ملخص:

اكتسبت القصيدة العربية القديمة عبر سيرورة تطورها من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي مميزات خاصة، ومن تلك الخصائص التي تلفت انتباه الباحث في الأدبيات القديمة، هو ذلك الاهتمام البالغ حول مطالع القصائد الذي شغل إبداعية الشعراء وتنظير النقاد على حد سواء. ومنه فإن المدونة النقدية غنية غناء باذخا بذلك النقاش النقدي الممتع حول جماليات الاستهلال القول الشعري القديم، الذي اعتبره الناقد القديم صفة من صفات المكنة الشعرية، وعليه فإن رهان هذه الورقة البحث يصب في خانة التنقيب والاسترجاع التاريخ النقدي وآراءه الراسخة حول هذه الخصيصة الشعرية التي ميزت القصيدة العربية القديمة. الكلمات المفتاحية: القصيدة العربية- المطلع- مقدمة القصيدة- الشعر العربي القديم- النقد الأدبي

Abstract:

The old Arabic poetry has acquired, from the pre-Islamic period until the Abbasid periode, special features; one particular feature has caught the attention of researchers in old literatures, which is the great care and significance given to the prelude of those poems which in turn puzzled the creativity of poets as well as the critics.

Therefore, there is a rich account of critical debate about the aesthetics of preludes in the old poetry which was considered by old critics as a display of a magnificent poetic competence. On that basis, this research paper aims at digging deeper in and recalling the criticism history and its firm views on this feature of the old Arabic poetry

Keywords: Arabic poetry- the prelude- poem opening-old Arabic poetry-literary criticism

1. مقدمة:

يعد الشعر ضرب من أضرب القول التي أجاد في صناعتها العرب حتى تميزوا به أمام جميع الأقوام، فبه خلّدوا أيامهم وكتبوا تاريخهم وسيرهم وحروبهم وقصص جهم ،وبتالي قدموا من خلاله رؤيتهم للبناء الفني لهذا النوع من التعبير، ومن تلك القضايا التي ميزت القصيدة العربية، هو حسن الاستهلال أو كما اصطلح عليه في المدونات

* المؤلف المرسل

النقدية العربية بالمطلع تارةً والمقدمات تارةً أخرى، مما أدى إلى نشوء نقاشات جادة عبر التاريخ النقدي القديم خصوصاً حول مفهوم المطالع وأنواع المقدمات التي ميزت بناء القصيدة العربية وما أثرته من مواقف نقدية راسخة في المدونة النقدية العربية القديمة ...

ومن هذا السياق يحقّ للباحث المعاصر أن يطرح في هذا الصدد مجموعة من الإشكالات ومن أهمها: ما رؤية الناقد العربي للمطلع القصيدة العربي؟ وما المعايير التي حددها لها وما أبرز الأحكام التي أطلقوها على بعض نماذج التي تناولها بالشرح والتحليل؟ وما أهم المقدمات التي عرفت القصيدة العربية عبر سيرورة تكوينها؟ وما أهم المواقف النقدية اتجاهاها؟

2. المطلع:

للمطلع في القصيدة العربية أهمية كبيرة في نظم الشعر، لذلك اعتنى به القدماء وأولوا له اهتماماً بالغاً، ففي نظرهم يعد: "دليلاً على براعة الشاعر وتمكنه من البيان"¹ إذ يعد المطلع أول ما يتواجه معه المتلقي سواءً أكان سامعاً أو قارئاً، حيث يعتبر المطلع أول عتبة تفرع تواجه المتلقي، من هنا برز اهتمام الشعراء بمطالع قصائدهم لما لها من قوة التأثير على أذن السامع الذواق للشعر، وهذا ما ذهب إليه ابن رشيق في قوله: "وبعد، فإن الشعر قفل أوله مفاتحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداءً شعره، فإنه أول ما يقرع السمع منه وبه يستدل على ما عنده."² وقد أوجب النقاد القدماء على الشعراء العناية بمطلع القصيدة، فالزموهم و: "طالبوا الشعراء بإتقانه. علما منهم بقوة الأثر الأول في النفس. وأنه يدفع السامع إلى التنبيه والإصغاء إن كان جيداً أسيراً وإلى الفتور والانصراف إن كان ضعيفاً"³ فمن خلال المطلع يستطيع المستمع أو المتذوق للشعر أن يطلق حكمه إمّا بالإجادة والاستحسان للقصيدة، أو يطلق الحكم المناقض فيحكم بالعيب وعدم التحكم الجيد في مطلع القصيدة.

1.2 معايير المطلع عند القدماء:

إنّ اهتمام القدماء وتركيزهم على مطلع القصيدة كان من باب إجادة الشعر واستحسانهم له، وأثناء قيامهم بدراسة مطلع القصيدة وضعوا بعض المعايير التي ألزموا الشعراء بها ومن بينها:

أولاً: البعد النفسي أو الاعتبار النفسي وهو البحث عن الكيفية التي يستطيع الشاعر التأثير بها في نفسية السامع أو القارئ، حيث إذا كان: "الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"⁴ أي لا بد من مراعاة الطريقة المثلى التي يفتح بها باب القول الشعري.

كما أن المطلع هو: "أول ما يقع في السمع من القصيدة والدال على ما بعده، المنزل من القصيدة منزل الوجه والغرة، وصدر بما يكون فيه من تلبية إيقاظ لنفس السامع، أو أشرب بما يؤثر فيها انفعالا ويثير لها حالاً من تعجب أو تحويل أو تشويق، كان داعياً إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده"⁵ وهذا اعتبار نفسي يسعى الشاعر من خلاله التحكم في ذهن سامع شعره أو قارئه وذلك بالابتداء الجيد والحسن في قصيدته.

ثانياً: اشتراط في مطالع القصائد مراعاة القاعدة البلاغية المشهورة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" التي طبقوها: "على المطلع حين أرادوه أن يكون متماشياً مع موضوع القصيدة، ومع ما تقال فيه"⁶ حيث لا بد أن يراعي الشاعر مطلع قصيدته بما يتمشى وموضوع القصيدة وقصيدته التي قام من أجلها وهو ينظم كلامه الشعري. ومن هنا نبّه النقاد الشعراء في مطلع القصيدة أن يجتنبوا الألفاظ التي يتطير منها ولا تكون ملائمة للغرض الشعري الذي ألفت فيه، حيث قالوا أنه لا بد على: "الشاعر أن يحتز في أشعاره، ومفتتح أقواله، مما يتطير منه، ويستحفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الألف ونعي الشباب وذم الزمان؛ لاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني. ويستعمل ذلك في المرثي، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإن كان الكلام إذا كان مؤسساً على المثال تطير منه سامعه وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح"⁷ فلا بد للشاعر أن يراعي الألفاظ التي تناسب الغرض الشعري في مطلع قصيدته، فمثلاً إذا كان مقصد الشاعر الفخر: "كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم. وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعدوبة... وكذلك سائر المقاصد. فإن طريقة البلاغة فيها أن تفتتح بما يناسبها."⁸

إذن الشاعر ملزم أن يراعي الألفاظ والمعاني التي تتوافق والغرض الشعري، فلا يمكن أن يأتي بألفاظ تدل على الحزن والتشاؤم ومقصده المدح أو الفخر.

2.2 نماذج شعرية لمطالع القصائد:

في هذا العنصر سنحاول أن نعرّج على بعض الأمثلة لمطالع القصائد، سواءً كانت تلك المطالع التي أعاب عليها النقاد ولم يلتزم فيها الشعراء بالمعايير التي وضعوها، أم تلك استحسناها واتبع ناظموها شروط إجادة المطالع، ومن بين هذه النماذج:

2-2-1 المطالع التي أعابوا عليها:

من النماذج النصية التي أعاب فيها النقاد مطلع القصيدة والتي لم تتوافق مع المعايير التي وضعوها قول "جرير الذي أورده ابن رشيق حينما دخل على عبد الملك بن مروان فقال: أتصحو أم فؤادك غير صاح عشيّة هم صحبك بالرواح فقال له عبد الملك بل فؤادك كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر خاطب نفسه."⁹ كما عيب على أبي نواس "ابتداء قصيدته التي امتدح فيها الفضل بن يحيى والذي أنكرها، لأن الشاعر استهلها بقوله:

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أحنك ودادي

ففي هذا المطلع تتطير الفضل بن يحيى وتشاءم منه."¹⁰

ومن منطلق مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي مراعاة الحالة أو الغرض الشعري الذي يريد أن يصف فيه الشاعر عابوا على المتنبي بعضا من مطالع قصائده، وأبرزها في: "أول لقاء مع كافور حيث ابتدأها بقوله: كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنيا أن يكن أمانينا"¹¹

كما طالب النقاد الشعراء باجتناّب ذكر الأسماء في مطالعهم الغزلية والتي قد تتوافق مع نساء الممدوح ونموذج ذلك إنشاد أروطة بين سهية عبد الملك بن مروان الأبيات:

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبقي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى توفي نذرهما بأبي الوليد

فرع، لأن كنيته أبو الوليد، فقال الشاعر: "لم أعنك، إنما عنيت نفسي." وقد كانت كنيته أبا الوليد أيضا. فقال عبد الملك "وأنا أيضا".

أكثر المآخذ تكون في قصيدة المدح التي اهتم بها النقاد كثيرا، لأن تجنب العيب فيها آت من "باب التأدب للملوك."¹²

2-2-2 المطالع التي استحسناها القدمات:

في هذا العنصر سنحاول أن نورد بعض الأمثلة التي استحسنت فيها النقاد مطالع القصيدة والتي اتبع أصحابها المعايير التي وضعها القدمات ومن بين النماذج التي استحسناها، مطلع قصيدة أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونها جلاء الشك والريب

استحسن القدمات هذا المطلع لفخامته وقوة ألفاظه.¹³

ومن المطالع المستحسنة عند القدمات قول المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

الذي عدوه مطلعا منفردا حيث قام الشاعر باختراعه.¹⁴

ومما اختير في الرثاء قول أوس بن حجر:

أيتها النفس أجمل جزعا إن الذين تحذرين قد وقعا¹⁵

ومن أفضل مطالع المحدثين قول أبي نواس:

لمن دمن تزداد طيب نسيم على طول ما أقوت وحسن رسوم

ذلك أنه وافق مطالع القصيدة الجاهلية، فالنقاد القدمات كانوا يستحسنون مطالع القصائد التي تتوافق مع الشعراء القدمات.¹⁶

3 مقدمة القصيدة:

تعد مقدمة القصيدة العربية القديمة من بين العناصر الأساسية التي اهتم بها النقاد والشعراء على حد سواء، وألوهها أهمية كبيرة من الدراسة والتمحيص، وقد تنوعت بنائية القصيدة في العصر الجاهلي وتعددت، فإلى جانب المقدمات الطللية التي استذكر من خلالها الشعراء الأحباب واستذكروا ديارهم، والمقدمات الغزلية التي وقف بها الشعراء على وصف أو ذكر الحبيبة، وجد من أبدل هذه المقدمات ب: "مقدمات أخرى، كمقدمة الطيف، ومقدمة الفروسية والفتوة، ومقدمة الشكوى من الهم والليل... وبطبيعة الحال فإن هذه المقدمات كانت أقل انتشاراً وذيوها من سابقاتها"¹⁷ فالمقدمة الطللية هي الأكثر توظيفاً في القصيدة الجاهلية، وهي المقدمة التي اشتهر بها الشعر في العصر الجاهلي وتميز بها، بالرغم من وجود مقدمات أخرى لم تنل حقها مثل سابقاتها، ومن هنا تميز الشعر العربي القديم بمقدمتين أساسيتين هما المقدمة الطللية التي وجدت أولاً ثم ظهرت المقدمة الغزلية، ومقدمتين ثانويتين هما مقدمة الشيب والفروسية.¹⁸

ويعود سبب اهتمام النقاد القدماء بدراسة المقدمات الطللية والغزلية في العصر الجاهلي، إلى سببين رئيسيين: "أولهما نقص في استقراء القدماء؛ والآخر، وهو ما يحتمل الترجيح، كثرة المقدمات الغزلية والطللية كثرة استحقت الاهتمام عندهم"¹⁹ هذه الكثرة جعلت النقاد القدماء يتحدثون عن المقدمتين الطللية والغزلية، والتي في نظرهم تناسب غرض المدح، ولذلك ألزموا: "الشعراء اللاحقين بالسير على هذا النهج، ودون الخروج عنه، وإلا وقعوا تحت طائلة الممنوعات"²⁰ أي عدم الخروج عن المؤلف واتباع نهج القدماء والسير في التأليف على آثارهم الذي كان متوارثاً آنذاك ألا وهو المقدمة الطللية والغزلية.

1.3 وجهات النقد في مقدمة القصيدة:

تعددت آراء النقاد واختلفت وجهات نظرهم بين مؤيد وملزم لاتباع نهج الشعراء القدماء في الوقوف على ذكر الأحباب واستذكار ديارهم، والوقوف على تذكر الحبيبة، وبين من لم يلزم المحدثين بهذه المقدمات التي شاعت في العصر الجاهلي، وترك الحرية للمبدع في اختياره لمقدمة قصيدته، ومن هذه الآراء نجد:

1.1.3 إلزامية اتباع نهج القدماء:

حين أراد النقاد تناول مقدمة القصيدة نظروا إليها من خلال القصيدة الجاهلية التي استمدوا منها القواعد والأسس، ويعد: "ابن قتيبة أشهر من ذكر هذه المقدمة من القدماء وحدد عناصرها وبين كيفية ترتيبها، وألزم المتأخرين من الشعراء بالسير على نهج الجاهليين فيها."²¹

لقد وضع ابن قتيبة شروطاً لمقدمة القصيدة العربية في العصر القديم، ومن بينها السير على طريق القدماء؛ أي السير وفق النهج الذي سار عليه الشعراء الجاهليين في تأليفهم لقصائدهم، حيث قال: "...وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليحفل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق،

وفطر الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر المهجير وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح وفضله على الأشباه وصغر في قدره الجزيل...²²

فقد ألزم ابن قتيبة الشعراء المتأخرين أن يسيروا على أثر الشعراء القدماء، ويقصد بالقدماء الشعراء الجاهليين، ووجب عليهم الموازنة بين عناصر هذه المقدمة اقتداء بهم، وعدم الخروج عن المؤلف الذي ساد في ذلك العصر. ومن النقاد الذين اقتدوا نخب ابن قتيبة بنجد ابن رشيق الذي طالب الشعراء بالتمهيد لقصائدهم بالنسيب، وانتقد كل شاعر لم يقيم بالتمهيد في قصيدته؛ إذ يقول: "ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة، وذلك عندهم هو، الوثب، والبتر والقطع، والكسع، والاقتضاب، كل ذلك يقال. والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بترء كالخطبة البترء والقطعاء، وهي التي لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب."²³

إذا كان ابن قتيبة ألزم الشعراء على السير وفق النهج القديم، فابن رشيق طالب الشعراء بالتمهيد بالنسيب في قصائدهم وعدم الولوج مباشرة في أغراض القصيدة، أو في مواضيع القصيدة.

3-1-2 إعفاء الشعراء من اتباع القدماء:

من بين النقاد العرب الذين نظروا للمقدمات الشعرية بنجد حازم القرطاجني في القرن لسابع الذي عفى الشعراء من الالتزام بالمقدمات التي سادت في العصر الجاهلي، واكتفى بأن تكون المقدمات: "جزلة، حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام، وجيزة تامة"²⁴ فحازم القرطاجني لم يلزم الشعراء المحدثين باتباع سيرة القدماء في مقدمات قصائدهم، وإنما وضع الشروط التي لا بد أن تبنى عليها مقدمة القصيدة.

أما معاصره ضياء ابن أنير فقد ترك الحرية التامة للشاعر في أن يختار مقدمة قصيدته بما يتناسب وموضوعها، وإنما حدد بعض الشروط الخاصة بمقدمة القصيدة، ففي نظره إذا كانت: "مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل، بل يرتجل المديح ارتجالا من أولها... وأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيه بغزل، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يتطير منه أو يستقبح."²⁵

يعني هذا أن التنظير لمقدمة القصيدة شهد تطورا في العصور المتأخرة، وجاءت معاكسة لآراء ابن قتيبة وابن رشيق، وتركت المجال مفتوح للشاعر أن يبتدأ مقدمة قصيدته بما يراه مناسبا، لكن يجب عليه أن يراعي الغرض الشعري وموضوع القصيدة في مقدمته، وسبب هذا التطور راجع إلى: "خضوع المتأخرين من النقاد للواقع الشعري الذي

أجبرهم على تغيير المفهوم القديم، بعد أن تمرد عليه وكسر قواعده عدد من الشعراء العصر العباسي... كما قد يرجع إلى تطور الفكر السياسي وضعف التعصب للثقافة والتقاليد العربية.²⁶

على الرغم من اختلاف النقاد القدماء في الجزئيات التي تتعلق بمقدمة القصيدة، إلا أنهم متفقون على أنه يجب على الشاعر مراعاة حال السامع أو المتلقي ومراعاة لحالة الممدوح في كل الحالات في مقدمة القصيدة، أي لا بد من محاولة البحث عن التأثير في نفسية القارئ أو السامع من خلال هذه المقدمة.²⁷

3-2 نماذج من مقدمات القصائد:

إذا أردنا الحديث عن النماذج التي استحسناها النقاد فيما يخص مقدمة القصيدة وجدنا نصوصاً شعرية مختلفة، فمثلاً رأينا اختلاف وجهات النظر بين النقاد القدماء فمنهم استمسك بالتراث العرب القديم وطالب الشعراء بالسير وفق النهج الذي سار عليهم شعراء العصر الجاهلي، ومنهم من ترك الحرية للشاعر في أن يبدأ مقدمة قصيدته بما يجوب في خاطره، ومن النماذج النصية نجد:

3-2-1 النماذج النصية لمقدمة القصيدة من العصر الجاهلي:

قبل الحديث عن نماذج مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي، والتي اشتهرت بالمقدمة الطللية، لا بد أن نتحدث عن التحديد الزمني فيما يخص مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي، وزمن نشأة هذا النوع من المقدمات بدقة تامة، فقد يكون وجودها قبل امرئ القيس الذي يقول في أحد أبياته:

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام

ففي هذا البيت يخبرنا الشاعر بأنه ليس أول من وقف على الأطلال واستذكر الأحباب، والوقوف على الديار، وإنما بكاهما اقتداء وتأثراً بابن خدام.²⁸

لعل النماذج البارزة لمقدمة القصيدة في العصر الجاهلي والتي وقفت جلها على استذكر الأحباب والوقوف على ديارهم، المعلقة السبع أو العشر، مثل معلقة امرئ القيس التي استهلها ب:

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللُّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ
فَتَوْضِخَ فَاْلَمِقْرَةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانَهَا كَأَنَّهَا حَبٌّ فَلُفْلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُو لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَحْمَلِ²⁹

ومن المقدمات التي وقفت على الاطلال واستذكرت الأحباب معلقة زهير بن أبي سلمى حيث يقول فيها:

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَاجِ فَالْمَيْتَلَمِّ
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَايُجُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ بَحْثِمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلَأَيَّاءُ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ التَّوْهُمِ³⁰

3-2-2 النماذج النصية لمقدمة القصيدة من المتأخرين:

قد حاول عدد من شعراء العصر العباسي التجديد في مقدمة القصيدة؛ إذ تعد: "أول ثورة شنها الشاعر العباسي على الشعر العربي، هي هجرانه المقدمة الطللية وإحلال المقدمة الخمرية بدلها"³¹ فبداية الثورة على الشعر العربي كانت انطلاقاً من مقدمته التي اشتهر بها، واستبدالها بالمقدمة الخمرية، وهذا راجع إلى عدة أسباب منها: تغير النسق الحضاري وظهور الترف والمجون، وثانيها تغير رؤية الشاعر في طريقة نظم الشعر.³²

ومن أبرز الشعراء الذين استبدلوا المقدمة الخمرية بالمقدمة الطللية في العصر العباسي أبي نواس، إذ يقول :

لا تَبْكُ لَيْلَى وَلَا تَطْرَبُ إِلَى هِنْدٍ وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
كَأَسَاءً إِذَا انْحَدَرَتْ فِي حَلْقٍ شَارِبَهَا أَجَدَتْهُ حُمْرُهَا فِي الْعَيْنِ وَالْحَدِّ³³
ومن ذلك أيضاً قوله:

عاج الشقي على طلل يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد
بيكي على طلل الماضين من أس دلا درّ درك قل لي من بنو أسد ؟
كم بين ناعت خمر في دساكرها وبين باك على نؤي ومنتضد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة صفراء تفرق بين الروح والجسد³⁴

بالرغم من كل هذه المحاولات في السعي إلى تجديد مقدمة القصيدة والقضاء على المقدمة الطللية، ومحاولة التجديد فيها لم تتحقق واستمرت هذه المقدمة إلى عصور متأخرة، والسبب في ذلك راجع إلى: "أن معظم من ثاروا على المقدمة الطللية كانوا متهمين بالعداء للعربة وللثقافة العربية، ولذلك قوبلوا برد فعل قوي أسهم في ترسيخ هذا التقليد واستمراره. أن علماء اللغة والنحوي في عصر التدوين والتقييد، كانوا يقدمون دائماً شعر الجاهليين والإسلاميين، ويعتمدون عليه في الاستشهاد ووضع القواعد، وهذا دعم مكانته في النفوس وجعله أرقى من شعر المولدين والمحدثين"³⁵ هذه أبرز العوامل التي ساهمت في تداول وعدم القضاء على المقدمة الطللية، فعلماء اللغة ساهموا بشكل كبير في بقائها وذلك لكثرة تداولها في قواعد اللغة.

4 الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية نلخص إلى عدة نتائج منها :

1. اكتست مطالع القصيدة العربية اهتماماً بالغاً في الفكر النقدي العربي القديم اهتماماً بالغاً بل جعلوها ميزاناً لبراعة الشاعر ومكنته الشعرية.
2. وضع النقاد معايير نقدية للمطالع من أهمها مراعاة البعد النفسي للسامع وكذلك مراعاة مقتضى الحال أي اختيار اللفظ المناسب للمقام وهي مقولة دعت إليها الأسلوبيات الحديثة، وهو ما أشار إليه ماروزو حين اعتبر الأسلوب هو اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج العبارة من حيادها، وينقلها من درجة الصفر إلى الخطاب الأدبي

3. لقد أدت النقاشات النقدية القديمة حول المطالع إلى ظهور اتجاهين نقديين عربيين، أحدهما أعاب على الشعراء بعض مطالعهم لعدم توافقيها مع المعيار النقدي التي وضع لها كعدم مراعاة مقتضى الحال، أما الاتجاه الآخر فقد استحسّن بعض المقدمات لأنها لا تحيد عن ما أسسه الخطاب النقدي حول فلسفة المطالع.
4. تعددت أنواع المقدمات الشعرية في الإبداعية العربية عبر مراحل تطور البناء الفني للقصيد العربية، ممّا أدى إلى ظهور موقفين نقديين في الساحة النقدية القديمة، موقف يلزم الشعراء بالاحتذاء بالقدماء، وموقف رأى بعدم إلزامية الشعراء بإتباع النهج القديم بحثاً عن التميز والإبداع.
5. تعتبر المقدمات الشعرية سمة بارزة ميزت الخطاب الشعري القديم من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي.

5- الهوامش:

- ¹ الربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 9.
- ² ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى 1907، الجزء الأول، ص 145.
- ³ فيصل الأحمر، نبيل داوود، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، الجزء الثاني، ص 65.
- ⁴ أبو هلال العسكري، كتاب الصنائع، تحقيق علي محمد بيجاي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ص 437.
- ⁵ يوسف حسين بكار، بناء القصيدة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص 204.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 205.
- ⁷ أبو هلال العسكري، كتاب الصنائع، المرجع السابق، ص 431.
- ⁸ حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص 310.
- ⁹ ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، المرجع السابق، ص 158.
- ¹⁰ أبو هلال العسكري، الصنائع، المرجع السابق، ص 431.
- ¹¹ الربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، المرجع السابق، ص 10.
- ¹² يوسف حسين بكار، بناء القصيدة، المرجع السابق، ص 206.
- ¹³ ينظر، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، المرجع السابق، ص 208.
- ¹⁴ ينظر، يوسف حسين بكار، بناء القصيدة، المرجع السابق، ص 208.
- ¹⁵ الربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، المرجع السابق، ص 10.
- ¹⁶ ينظر، يوسف حسين بكار، بناء القصيدة، المرجع السابق، ص 206.
- ¹⁷ حسن كاتب، مقدمة الشيب والشباب، مجلة الآداب، العدد 05، 2000، ص 115.
- ¹⁸ ينظر، حسين عطوان، مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص 90.
- ¹⁹ يوسف حسين بكار، بناء القصيدة، المرجع السابق، ص 212.
- ²⁰ شاكر لقمان، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبارقضي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، العدد 17، جانفي 2013، ص 75.
- ²¹ الربيعي بن سلامة، تطور القصيدة، المرجع السابق، ص 11.
- ²² ابن قتيبة الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر ص 75/74.
- ²³ ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، المرجع السابق، ص 306.
- ²⁴ حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، المرجع السابق، ص 305.

- ²⁵ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ص 26.
- ²⁶ الربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، ص 14/13.
- ²⁷ ينظر، المرجع نفسه، ص 14.
- ²⁸ ينظر، حسين عطوان، مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 73.
- ²⁹ الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 8/7.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص 74/73.
- ³¹ سيف الله هشام توتاي، شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، دار غيداء، الأردن، 2017، ص 98.
- ³² المرجع نفسه، ص 99.
- ³³ أبو نواس، ديوان أبو نواس، تحقيق محمدو أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، ص 34.
- ³⁴ المرجع نفسه، ص 231.
- ³⁵ الربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، ص 19.

6 قائمة المراجع:

- 1 ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى 1907، الجزء الأول.
- 2 ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.
- 3 ابن قتيبة الشعر والشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 4 أبو نواس، ديوان أبو نواس، تحقيق محمدو أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر.
- 5 أبو هلال العسكري، كتاب الصنائع، تحقيق علي محمد بيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.
- 6 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- 7 حسين عطوان، مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر.
- 8 سيف الله هشام توتاي، شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، دار غيداء، الأردن، 2017.
- 9 فيصل الأحمر، نبيل داودة، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، الجزء الثاني.
- 10 يوسف حسين بكار، بناء القصيدة، دار الأندلس، بيروت، لبنان.
- 11 الربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.
- 12 الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار صادر، بيروت، لبنان.

المقالات:

- 1 حسن كاتب، مقدمة الشيب والشباب، مجلة الآداب، العدد 5، 2000.
- 2 شاكر لقمان، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبارالقضاعي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، العدد 17، جانفي 2013.